اعترافات
نسوية
سابقة
كتابة: أم خالد
ترجمة: ألسنا على الحق

فهرس

الجزء الأول: غريزة الأمومة والصراع الداخلي..... 6

الجزء الثاني: المرأة بين الثقافة والفهم السطحي للدين 12

الجزء الثالث: بين التعليم والمعرفة..... 16

الجزء الرابع: الأنوثة والمدارس العامة 21

الجزء الخامس: بداية التحول 25

الجزء السادس: الهداية من القرآن 31

الجزء السابع: الزواج 38

الجزء الثامن: الأمومة 41

الجزء التاسع: ذروة الإنجاز..... 47

الجزء العاشر: الأنوثة لا النسوية 51

التعريف بالكاتبة:

وُلِدت أم خالد في مصر وانتقلت مع أسرتها إلى الولايات المتحدة الأمريكية في سنٍّ صغيرة. أكملت حفظ القرآن الكريم في صغرها، والتحقت بجامعة هارفرد لتكمل دراسات ما قبل التخرج في الانثروبولوجيا بالتركيز على منطقة الشرق الأوسط، وتخرّجت منها بدرجة شرف. عملت كمرشدة دينية بكلية للبنات وكمعلّمة للتجويد. أم خالد متزوجة من الداعية الأمريكي دانيال حقيقتجو. لأم خالد أربع أبناء تعلِّمهم منزليا ببرنامج طوّرته بنفسها على منصة معهد ألسنا، وهو يرتكز على التربية الإسلامية وغرس قيم أخلاقية عالية. تقدّم أم خالد على موقع مؤسسة ألسنا التعليمي مساقات عن الزواج وتنمية الشباب والتعليم المنزلي والتربية وغيرها. كما تنشر على صفحتها عن التربية والتعليم المنزلي ورفع الوعي عما يواجه المسلمين من تحديات ومخاطر كالأيديولوجيات والفلسفات الغربية والنسوية والانحلال الأخلاقي وغيرها..

لمتابعة أم خالد:

https://muslimskeptic.com/author/umm-khalid/

https://www.youtube.com/c/TheMuslimSkeptic

https://www.alasna.org/courses/homeschool

https://www.facebook.com/UmmKhalidMuslimMom

الترجمة:

قام بترجمة هذا الكتاب مجموعة من الأخوات المتطوعات في فريق ألسنا على الحق . هذه الترجمة شبه حرفية لما كتبته الأخت أم خالد من دون تصرف في المعنى أو اضافات. لا تنسوا فريق عملنا من صالح الدعاء.

ألسنا على الحق هي الصفحة والقناة الرسمية التي تترجم للداعية الأمريكي دانيال حقيقتجو . لمتابعتنا على الروابط التالية:

https://www.facebook.com/AlasnaHaq

https://www.youtube.com/c/AlasnaHaq

https://t.me/AlasnaHaq

https://twitter.com/AlasnaHaq

"اعترافات نسويّة سابقة"
الجزء 1
غريزة الأمومة و الصراع الداخلي
/ ألسنا على الحق

الجزء الأول: غريزة الأمومة والصراع الداخلي

كنت في السّابق نسويّة ثائرة، خاصة في المدرسة الثانوية وبدايات الجامعة.

إذا فاجأكم هذا الآن لأنكم لا تعرفون إلا أنني ربة بيت وأمٌّ لأربعة أطفال يتعلّمون منزليًّا تَكتُب في الفيسبوك عن التربية والتعليم المنزلي، فاستعدوا لمفاجئات أكبر.

لم أكن أرغب بالزواج ولا بإنجاب الأطفال، نعم لقد كنت *تلك* الفتاة.

فكرةُ الزواج كانت تُشعِرني أنني ضعيفة وغير قادرة على أن أعيش حياتي بنفسي، وأنني على نحوٍ مثير للشفقة بحاجة رجل لِيُعلّمني كيف أعيش. شكرا، لا أريد هذا.

ينتابنا من حيث لا ندري شعورٌ طارئ باللهفة لأن نحضن رضيعًا بين أذرعنا الخاوية، نتصور فجأة بيتاً دافئاً مليئاً بضحكات الأطفال وصوت أقدامهم الصغيرة وهي تركض حولنا، ونبتسم حين تراودنا هذه الأفكار.

كانت فكرة إنجاب الأطفال تبدو لي مُهينة، التفكير بأطفال كثيري الشّكوى يتشبثون بي كحِمل ثقيل يلفّ عنقي، أو رُضّعٍ يصرخون وهم بحاجة لتغيير حفاظاتهم، أو يستيقظون في منتصف الليل باكين، أو صغار عملهم الوحيد إثارة نوبات الغضب وأن يكونوا أشقياء مدلّلين؛ كل ذلك كان يُشعِرني بالاشمئزاز. ثمّ إن الأمر ليس له نهاية، فهؤلاء الأشقياء سيكونون مسؤوليتي طوال حياتي _ بدا ذلك كحُكم بالمُؤبّد، أو حكم بالإعدام. سأكون مقيّدة لبقية أيام حياتي، هكذا ستنتهي حريتي، وهويتي، ووُجودي ككلّ.

شكرا، لا أريد أيًّا من هذا.

إذًا لا زواجَ ولا أطفال. أنا على ما يُرام هكذا بمفردي.

تلك كانت طريقةَ تفكيري في أواخر سن المراهقة وعندما قاربت العشرين من عمري، لم أكن

أفهم أي شيء، ولكنني ظننت أنني أفهم كل شيء.

الكثير من الأخوات يتواصلن معي ويخبرنَني أن هذا ما هنّ عليه كذلك حاليا، أنهنّ نساءٌ طالما كانت نظرتهنّ للزواج أنّه عبودية، وللأطفال أنهم قيود.

هذا ما نتشرّبه نحن النساء عندما ننشأ في العالم الحديث العلماني الأناني الفردانيّ، فنمرّ بالمؤسسات المعروفة للتلقين الليبرالي: المدارس العامّة والجامعة، برمجة هوليوود وغسيل الدماغ بالإعلام، الموسيقى والمجلات والأوساط الأكاديمية. إنّ الحداثة والفردانية والرفاهية والرأسمالية والاستهلاكية والنسوية، كلها تُعلّمنا أن نحتقر أي شيء أو شخص يسلب "حريّاتِنا"، ولهذا يُعَدّ الزوج والأطفال مشتبهين بدرجة أولى.

لذلك انسي أن يكون لك زوج، مَن مِنَّا تحتاج الرجال على أية حال؟

وانسي إنجاب الأطفال، من تحتاج وجعَ الرأس ذاك؟

امضِي قُدماً في حياتك على المسار التعليمي والوظيفي الذي اخترتِه، ركزي على أهدافك الخاصة. حققي امكاناتك. احصلي على الماجستير والدكتوراه. قومي بهذا البحث في المختبر. ارتقي في السلم الوظيفيّ لهذه الشركة، احصلي على أجرٍ مرتفع وعلى هذا المكتب الجانبي. حياة المرأة المستقلة رائعة.

ولكن المشكلة تتسلّل داخلنا بصمتٍ وخِلسةً. إننا لا نمانع أن نمضي في الحياة وهذه الأفكار تدور في رؤوسنا، حتى نصل لمنتصف العشرينيات أو أواخرها، أو نقارب الثلاثينات من العمر، فتلسَعُنا أولى وخزاتِ الأمومة على حين غرّة.

ينتابنا من حيث لا ندري شعورٌ طارئ باللهفة لأن نحضن رضيعًا بين أذرعنا الخاوية، نتصور فجأة بيتاً دافئاً مليئاً بضحكات الأطفال وصوت أقدامهم الصغيرة وهي تركض حولنا، ونبتسم حين تراودنا هذه الأفكار.

وصفَت امرأة في منتصف الثلاثين من عمرها كيف تسبّبت رؤيتها لسيدة تجر طفلا بعربته للشعور بـ"انقباض" في "رحمها الفارغ"

غريزة الأمومة قوية للغاية.

تستيقظ غريزة الأمومة لدينا فجأة بعدما كانت تبدو لنا ساكنةً لسنوات.

لهذا نشعر بألم شديد. ألم التنافر المعرفي، وهو أن نقوم بأمرٍ ونريدَ خلافَه. إن من المؤلم والمزعج أن نكون في حالةٍ تناقضٍ بين ما نريده ونؤمن به وبين ما نفعله في الواقع.

هذه الرغبة الجديدة الغريبة في الزوج والعائلة والأطفال لا تتماشى مع أفكارنا التي طالما اعتقدناها من أنّ الزوج والأطفال هم العدو لأنهم يقللون من حريتنا. بِعقولنا نجد راحة في الموقف القديم من رفض الزواج والانجاب، لكننا غريزياً وعاطفياً نصبح توَّاقين لتلك الأمور ذاتها؛ هذا الصراع كافٍ لدفعنا للجنون.

تبدأ الأفكار المتناقضة بالتّجاذب داخلنا لتصيبنا بحالة مؤلمة شبيهة بـ"ثنائية القطب" ذهاباً وإياباً.

"أشعر الآن بأنني في غاية الغباء! كيف كنت أعدّ الزواج والأطفال سيّئين؟، إنهم كل ما أريده الآن !"

"لا، أنا غبية *الآن* بهذه الرّغبة الغريبة في الأطفال! عليّ أن أتخلّى عن هذا التّفكير، هل جُنِنتُ لأفكر في أن أكون أماً وزوجة؟ ماذا سأفعل طِوال اليوم مع أطفالٍ صغار على أية حال؟

"إذا ما تزوجت الآن بعد مشواري التعليمي، سأتحوّل لمقعد جامعيّ ضائع! إنّه لأمرٌ مؤسفٌ أن أُضيّع كل تلك السنوات من حياتي، وكل انجازاتي. لا يمكنني بحالٍ التخلّي عن كل هذا الآن "!

"ولكن ماذا عن آمالي واحلامي وكياني و*هويتي* كشخص؟ كل هذا سيختفي عندما أصبح زوجة وأمّاً! هل هذا كل ما في الحياة؟ أن نتزوج وننجب أطفالاً؟ هذا كل شيء؟ كم هو أمرٌ محبط"..

"أنجزتُ الكثير، رأيت الكثير، سافرت وخُضت المغامرات. انتقالي "للاستقرار" ولِتكون لي عائلة وحولي أطفال مزعجون سيبدو مملاً للغاية بالمقارنة بحياتي الحالية، هذا مرهقٌ جداً"..

"لقد تغيرت نفسيّتي لدرجة كبيرة حتى أنني لا أرى كيف لي أن أتحمل البقاء في المنزل مع أطفال. كيف سأصمد أمام هذا التحول الجذريّ في نمط الحياة؟"

"ثمّ هل الزواج أو إنجاب الأطفال واجبٌ في الإسلام؟ ليس ذلك واجبا، أليس كذلك؟ ألا يمكن أن تكون المهنة التي اخترتها سبيلا لي لأتقرّب لله؟"

"لدي هوس بأبحاثي، التفكير في أيّ أمرٍ يُبعدني عنها مؤلمٌ لدرجة لا تُطاق، الأغلب أنني سأتسخّط من أطفالي "

"حتى صديقاتي المتزوجات يعانين وقد سَئِمن حياتهن! يبدو أن الأمهات الماكثات بالبيت يشعرن بعدم التقدير والكبت، والأمهات العاملات يشعرن بضغطٍ شديدٍ بين العمل والبيت. لا يبدو أن هناك من تحبّ دور الأمّ! فكيف لي أن أكون كذلك؟"!

"سئمت من رسالة الدكتوراة التافهة هذه، لا أريد حتى الانتهاء منها! ما الفائدة منها؟ أريد طفلاً! الآن!"

"ماذا لو انتقلتُ من حياتي المهنية، إلى حياة منزلية "مدجّنة" وبعدها ندمت على خياري؟ ماذا لو تخليت عن العمل للمكوث في المنزل مع الأطفال وكَرِهت ذلك منذ البداية؟ هل ثمّة إمكانية للتراجع عن ذلك أو اتّخاذ مسارٍ آخر..؟"

مع هذه الأفكار التي تدفع للجنون وجولات الصراع الداخلي نشعر باليأس والضياع والاكتئاب، تبدو الحياة مظلمة ومُحيّرة. تصير أفكارنا كركام متشابك ومشوّه، فلا يعود بمقدورنا ترتيب هذه الفوضى بعد ذلك.

يُخبرنا عقلنا بأمرٍ، وتُخبرنا قلوبنا بآخر؛ ولا نعرف أيّهما صحيح.

هذا ما فعلته الحداثة بنا نحن النساء، تسلّلَ سم النسوية في أفكارنا كما يسري الصّباغ في النسيج فيلطّخه ويلوثه.

تتصادم فطرتنا كنساء مع الإملاءات المجتمعية في العالم اليوم. تتعارض المؤشّرات الداخلية والخارجية كما لو كانت في حالة حرب.

لنتمكّن من حل *أيّ* مشكلة علينا أولاً أن نحدّدها، ولا يمكن حل أي مشكلة ما لم نكن على علمٍ بوجودها من الأصل. لهذا فمهمتنا هي أولا: الاعتراف بواقع العالم النّسوي الحديث وكيف أثّر على نفسيّتنا؛ وبعدها تكمن مهمتنا في البحث عن الحقيقة بعقلٍ منفتح وصدرٍ رحب، والسعي نحو التآلف والانسجام وراحة البال والسّكينة والرّضا الدائمين، حتى تنتهي الحرب التي في داخلنا إن شاء الله.

ثمّة أملٌ إن شاء الله..

"اعترافات نسويّة سابقة"
الجزء 2
المرأة بين الثقـــــافة السائدة
و الفهم السطحي للدين
/ ألسنا على الحق

الجزء الثاني: المرأة بين الثقافة والفهم السطحي للدين

النساء في الثقافة المصرية :

كنتُ واحدةً من خمسة أطفال: أربع بناتٍ وابن واحد. اكتشفت أنّ المصريين في مصر يحبّون فكرة إنجاب الصبيان، ويحتاجون على الأقل لإنجاب صبي واحد. أما البنات.. (فلامبالاة).

كما أن المصريين لديهم بعض المقولات التي كنت أسمعها أحيانا في المسلسلات المصرية أو الأفلام، والتي كانت أحياناً تقلل من شأن النساء، أو تشير إلى بعض الأمور على أنها "عمل نسائي" أو "حديث نسائي"

لدى المراهقين فهم محدودٌ للعدالة، وهذه الفوارق بين الجنسين لم تكن متّسقة مع فكرة العدالة التي تعلمتها في الثانوية العامة الأمريكية. العدالة تعني المساواة، أليس كذلك؟

لكن "كلام الرجال" (كلام رجّالة) وحدَه ما يُؤخَذ على محمل الجد. بدأتُ ألاحظ هذا الأمر وأمتعض منه في المجتمع المصري قرابة بدء المرحلة الثانوية.

النساء في الثقافة الأمريكية :

لم أشاهد التلفزيون أو الأفلام الأمريكية، لكنني درست في مدرسة أمريكية عموميّة. اقتنعت عبر السنوات بأن كوني فتاةً ليس جيّدًا بما فيه الكفاية. بدا الذكورُ أفضل في كل شيء، فهم جسدياً أكبرُ وأقوى، وأكثر استقرارا من الناحية العاطفية، وأمتَنُ من الناحية الفكرية. ظلّ المجتمع الأمريكي يخبرني عبر أغلفة المجلات، وكلمات الأغاني التي سمعتها في حافلة المدرسة، والثقافة الشعبية عموما، أن الفتيات وُجدن فقط ليكُنّ مثيرات، ولإرضاء الرجال، وليكنّ تابعات على نحو غبي. كنت أشعر بالامتعاض من صورة المرأة هذه المُنتشرةِ في جميع أنحاء العالم غير الإسلامي.

النساء وأحكام الإسلام:

وكنت أيضاً من ناحية أخرى أتبنى النظرة الخاطئة والشّائعة من أن الإسلام لا يفضّل النساء كثيراً.

لم أجد بالضرورة صعوبةً في ارتداء الحجاب كمراهقة، ولكنني وجدت عناءً في فهم الحِكمة من ارتدائه على نحو تام. كنت مقتنعة جزئياً بأن الغرض من الحجاب هو جعلي أبدو قبيحة؛ أو على أقل تقدير أن يسلبني أنوثتي، أيّا ما كان معناها. أو ربما كان علامةً على أنوثتي، لأنّ النساء دوناً عن الرجال هنّ الوحيدات اللواتي يرتدينه. لم يكن لدي أدنى فكرة عما تعنيه الأنوثة حتى، أو ما إذا كانت أمرا جيّدا أو سيئا.

لم أفهم لماذا توجد أحكامٌ مختلفة للرجال والنساء في الإسلام. لم أكن أرى الفوارق بينهم على أنها حيادية ببساطة، بل أنها متأصّلة في اختلاف قيمة كليهما. لدى الرجال أحكام خاصة لأنهم أفضل، أما النساء فلأنهنّ أسوأ.

افترضت أنّ بعض الأحكام الإسلامية المتعلقة بالمرأة كارتداء النساء الحجاب، وصلاتهنّ خلف الرجال، وعدم اختلاطهنّ بالرجال بتساهل، فهمت من كل هذا أن الإسلام يحطّ من قدر النساء ويضعهنّ في منزلة أدنى.

وقد أدهشني هذا كما لو كان مجرد تجسيد إسلامي للرسالة نفسها التي سمعتها عالية وواضحة في كلتا الثقافتين الأمريكية والمصرية: "النساء سيئات، والرجال جيدون"

لدى المراهقين فهم محدودٌ للعدالة، وهذه الفوارق بين الجنسين لم تكن متّسقة مع فكرة العدالة التي تعلمتها في الثانوية العامة الأمريكية. العدالة تعني المساواة، أليس كذلك؟ الرجال والنساء لم يكونوا متشابهين أو متساوين في الإسلام. هل هذا ظلم؟ لم أتمكن من معرفة ذلك.

والدي -الرجل الصبور المسكين، تحمل كثيرًا من أحاديثي الصاخبة الساخطة عندما كنت في الثانوية، مع كل السخط والاعتداد بالذات الذي يمكن لفتاة في الخامسة عشر من عمرها أن

تستجمعه (وهو كثير بحق) لقد كان طيباً وصبوراً وأنا أُمطره بأسئلتي السريعة النارية: لماذا يجب على النساء ارتداء الحجاب دوناً عن الرجال؟ لا أمانع ارتداءه، ولكنني أرغب فقط برؤية الرجال يتوجّب عليهم ارتدائه أيضا! وأن يذهبوا به للمدارس الأمريكية ليبدوا فظيعين! لماذا تحصل النساء على النصف في الميراث؟ هل هذا يعني أن الابن أفضل من الابنة؟ لماذا تَعدِل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل؟ هل لأنها أغبى منه؟ لماذا جعل الله أحكاماً مختلفة للرجال عن أحكام النساء؟ كيف لهذا أن يكون منطقياً؟

كان أبي يحاول التحدث إليّ بلطف، لمعالجة أفكاري الفوضوية، ولفكّ العقدة التي أوثقتها بإحكام في عقلي بتفكيري المحدود المقتصر على الأسود أو الأبيض. ولكنني أتذكر أنني (وهذا مما يثير استيائي الآن) كنت في الغالب أتجاهل كلامه وأتمسك بعناد بموقفي الأول. كنت أطرح الأسئلة ذاتها في اليوم التالي، او الأسبوع الذي يليه. لم يفقد والدي صبره معي ولو لمرة واحدة، كان يجيب على أسئلتي كلها مِرارا وتكرارا..

كان فهمي للإسلام قاصرا، وتفاقمت المشكلة بسبب ثقافتين مختلفتين زادتا من تعكير المياه.

كان ذلك بمثابة العاصفة المثالية، المزيج المناسب لأي فتاة مراهقة أو شابة لتقفز إلى عربة النسوية، لتخوض المعارك من أجل العدالة والمساواة.

"اعترافات نسويّة سابقة"
الجزء 3
التـــــعليم أم المـــــعرفة ؟
/ ألسنا على الحق

الجزء الثالث: بين التعليم والمعرفة

يقع كثيرٌ من الناس في الخلط بين أمرين: "التعليم" و "المعرفة"، لكن هذان أمران مختلفان.

نظام التعليم العمومي في أميركا ليس نظاما محايدا على الإطلاق، بل هو أبعد ما يكون عن الحيادية.

إنه نظام خاضع لهندَسة مدروسة، تم إنشائه لإنتاج عمّالِ مصانعٍ صغار جيّدين ومواطنين مطيعين منقادين للدولة.

للمدارس العامة أجندات خاصة بها، وهي تدّعي أنها تمنح "التعليم" للأطفال بينما تعمل كمعسكرات تلقين لليبرالية والمادية والإلحاد والعلمَويّة والنسوية. يوضَع الأطفال في آلة المدرسة العامة فتلفظهم من الطرف الآخر حاملين كلّ "الأفكار المناسبة" وهم منقادون تمام الانقياد.

المدارس العامة الأميركية ليست إلا معسكرات تلقين مُمجّدة تستولي على الأطفال من سن ثلاث أو أربع سنوات إلى الثامنة عشر عامًا، وبعد ذلك تستلِمهم كليات الفنون الليبرالية -اسمًا على مُسمًّى- لتستمر في عملية غسل الأدمغة وتشكيلها.

فتجد نفسك خارجًا من الجانبِ الآخرِ بفكر ليبراليّ نسويّ، إلا من رحم ربي.

إن كنتم لا تصدقون كلامي فاطّلعوا على كتاب "التاريخ السرّي للتعليم الأمريكي" للكاتب جون غاتوقام مؤسس النظام المدرسي الأمريكي الحديث هوراس مان ببنائه مباشرة من نموذج المدرسة البروسية. سافر مان إلى بروسيا وأُعجِب بكيفية إدارة المدارس هناك بدقّة فائقة وصرامة، وكيف كانت مصممة على ترسيخ الانصياع التام والطاعة والولاء للدولة.

أنشأت بروسيا مثل هذا النظام من المدارس بعد هزيمتها وإذلالها في الحروب النابليونية، حتى تضمن أن "لا يعصي أي جندي ألماني الأوامر مرة أخرى."

إذًا كنتُ فتاةً مسلمة درسَت في المدارس العامة الأمريكية من سن التاسعة إلى الثامنة عشر، وبعدها التحقَت بأروقة هارفارد العريقة، إحدى أكبر جامعات الفنون الليبرالية. أَمِن الغريب أن أكون تشرّبت خلال ذلك المشوار الأفكار الماكرة الخفيّة للنسوية؟ لو لم أفعل لكان ذلك ما يبعث على الصدمة!

في الصف الرابع -السنة الأولى لي في المدرسة العمومية الأمريكية- تعلّمت عن سانتا. وأذكر في الصف الخامس أننا درسنا الثورة الأميركية ومن كان أبطالها: جورج واشنطن وتوماس جيفرسون وبقية العصابة، وفي الصف السادس تعلّمنا تفاصيل اللقاء السعيد بين المستكشفين الإنجليز وسكان أمريكا الأصليين، ونشأة عيد الشكر والكومبايا. أما في الصف السابع فقد كتبتُ تقريرا عن امرأة أُعجِبت بها من بين الشخصيات التاريخية التي كنا ندرس عنها، اخترت سوزان ب. أنتوني، وقد تعلّمت أنها امرأة شجاعة نبيلة "كافحت من أجل حقوق المرأة" وحاولت "مساعدة النساء في مواجهة الظّلم"

وما إن انقضى عقد أو عقدان حتّى انكشفَت لي كل الأكاذيب المفضوحة التي تم تلقيني إياها. قامت المدرسة العامة بطلاء كل شيء بالبياض حرفيا. "الآباء المؤسسون" لم يكونوا إلا مجموعة من المجرمين الليبراليين الذين كانوا في غاية العنصرية. المستكشفون البريطانيون الذين استوطنوا في أمريكا ذبّحوا السكان الأصليين وكانوا على وشك إبادتهم عن آخرهم، وكانت الدموع اللاحقة إمعانًا في الإهانة. لم تكن سوزان ب. أنتوني وصديقاتها بطلات، بل كُنّ نساء بيضًا معتدّات بعرقِهنّ كارهاتٍ للسود، يكرهن الرجال بشكل عام ويكرهن الله بالأخصّ. أولئك كنّ النسويّاتِ الأوائل والملحدات المتحدّيات، والمتعصبات المليئات بالكراهية اللواتي كنّ معتدّات بأنفسهنّ مهتمّات بمصالحهنّ فقط.

هذا هو الفرق بين "التعليم" و "المعرفة". إن للمدارس العامة أجندات خاصة بها تدّعي أنها تمنح "التعليم" للأطفال بينما تعمل كمعسكرات تلقين لليبرالية والمادية والإلحاد والعلمَويّة والنسوية. يوضَع الأطفال في آلة المدرسة العامة فتلفظهم من الطرف الآخر حاملين كلّ "الأفكار المناسبة" وهم منقادون تمام الانقياد.

ليس على الإنسان من أجل اكتساب المعرفة أن يمرّ بهذا النظام القاسي "للتعليم". يمكنك تعلم الرياضيات والعلوم والقراءة والكتابة والفن والتاريخ.. لكن لا ينبغي أن تكون هذه العلوم ملوّثة بالصبغة النسويّة.

الصورة التي أستخدمها لبيان هذا هي لطلاء يُصَبّ في دلو. تزعم المدارس العامة الغربية تعليم الأطفال مواضيع "أكاديمية" حصرًا، كالقراءة والكتابة والحساب، وهو ما يمكننا تصوره على أنه حوض كبير من الطلاء يصب في دلو – هو عقل الطفل الصغير. ولكن الطلاء ليس نظيفاً: فقد لوّثته الشوائب واختلطت في السائل، ومن المستحيل تنقيته؛ شوائب كالإلحاد والليبرالية والديانة العلموية والنسوية. اختلطت هذه الأشياء في المواد "الأكاديمية" حتى صار كل شيء متداخلا وملوثا.

إن التعلم والعلم والنضج والحكمة والفهم أو الفقه ومعرفة النفس: كل هذه جوانب بالغة الأهمية للنمو والنضج يفتقر إليها هذا النظام التعليمي الأميركي المبنيّ على النمط البروسي.

"التعليم" ليس هو التربية، ولا هو نفسه العلم.

وهذا خلطٌ آخر كثيرا ما يظهر عند بعض الأخوات المسلمات المتأثرات بالحركة النسوية: لكن الإسلام يشجع التعليم! الكلمة الأولى التي أوحى الله بها في القرآن كانت "اقرأ"! لهذا يعدّ حصولي على شهادة الدكتوراه في المالية عبادة!"

إننا كمسلمين لا نعي فحسب أهمية *ما* يتم تدريسه، ولكن كذلك *من* الذي يقوم بالتدريس، فالمعلم قدوة، والطالب لا يتعلم فقط من مواد الكتاب، ولكن أيضا من نبرة المعلم وتعابير وجهه وسلوكه وكلامه وطريقة تصرفه عموما. إننا نأخذ ديننا من الثّقات، لهذا يعدّ الإسناد في غاية الأهمية.

لا يقتصر الأمر على ما تُعلَّمُه، ولكن مَن يعلمك إياه.

(وهذا بالمناسبة سبب توجّهي لتدريس أطفالي في المنزل بنفسي. ليس لدي بنات، ولكن لو كان لي ابنة لقمت بالتأكيد بتدريسها منزليًّا لتجنيبها سموم النسوية.)

تقوم المدارس العامة الأمريكية بتدريس جميع المواد والمواضيع الأكاديمية التي تمزج الاتجاهات الإيديولوجية والقيم الميتافيزيقية، بما في ذلك النزعة النسوية والفردانية واللاأدريّة.

وهذا هو ببساطة الجانب الأكاديمي من نظام التعليم العمومي فيما يتعلق بالتعليم الضمني للنسوية. في المنشور التالي، سنستطلع الجانب الاجتماعي للنظام المدرسي وتأثيره على الفتيات ليتحولن إلى النسوية.

"اعترافات نسويّة سابقة"
الجزء 4
SCHOOL
الأنوثة و المدارس العـــــامة
/ ألسنا على الحق

الجزء الرابع: الأنوثة والمدارس العامة

مُسلمةٌ في مدرسة ثانوية غير إسلامية:

في المدرسة الثانوية يهتم اليافعون في الأساس بشيء واحد: المظهر الخارجي. الملابس والأحذية والأكسسوارات. وينطبق هذا بنحوٍ عام على كل من الذكور والإناث في المدرسة الثانوية، ولكن بالنسبة للإناث يتفاقم الأمر مع طبقات المظهر الإضافية من الشعر والمكياج والأزياء والحاجة إلى التوافق مع أقرانهنّ، إلخ..

بدأت أُكَوِّن هذا الاستنتاج (الخاطئ) بأن هذا ما تعنيه الأنوثة، وأن المظهر والتصرف بهذه الطريقة "الجميلة" كان أنثويًا. وهو ما يعني (لدى ذهني النّاشئ الفاسد) أن الأنوثة مساوية للضّعف وفقدان المنطق والتّعقّل.

لم أكن أعرف كيف أكون *ذات أنوثة ومُحتَشمة* (حسب النموذج الإسلامي) أو *ذات أنوثة و"حرة" أو "قوية"* (بالنموذج العلماني) لم تَبدُ الصفتان متوافقتَين في كلتا الحالتين.

في المدرسة الثانوية بدت جميع الفتيات الجميلات والشهيرات لصيقات بالذكور محتاجات لهم بشكل مفرط ومعتمدات عليهم.

كان واضحا أن محور حياتهن بأكملها أصدقائهن الصبيان، وعندما كان الانفصال الحتمي يقع، كنت أرى هؤلاء الفتيات يَنهَرن باكيات مع صديقاتهن. بدا الأمر وكأنه عرض للمشاعر مثير للشفقة، وافتقار إلى ضبط النفس أو احترام الذات. كاليوم الذي انفصل فيه جيمس -نجم فريق المصارعة بالمدرسة الثانوية- عن روكسان -رئيسة فريق التشجيع- كانت محطمة تمامًا، كنت أحْضِر كتبًا لفصلي التالي من خزانتي ولكن في الخزانة المُحادية كانت روكسان تبكي بصوت عالٍ وتخبر صديقتها أن حياتها انتهت لأن جيمس كسر قلبها. لم أستطع كبح ردة فعلي الداخلية: "ملاحظة لنفسي: لا تتصرفي أبدًا بهذا اليأس أو الجنون. يبدو أن الدخول في علاقة مع رجل

يجعل الفتيات يتصرفن بجنون! إن شاء الله لن أكون تلك الفتاة أبدًا." أردت أن أستدير وأخبرها: تمالكي نفسكِ روكسان! أين لياقتك وتعقّلُك؟ أنت تحرجين نفسك هكذا، لستِ بحاجة إلى جيمس. اذهبي إلى الفصل وتوقفي عن التفكير في الأولاد كثيرًا أيتها الحمقاء. حياتك لم تنته بعد".

ما هي الأنوثة؟

إذا كان سلوك روكسان هو ما عليه "الفتاة الأنثوية"، فلا أريد أن أكون فتاة ذات أنوثة. من الأفضل أن أكون فتاة "صبيانية" تتمتع باحترام الذات والكرامة من أن أكون واحدة من هؤلاء الفتيات اللواتي يبدو أنهن يفتقرن إلى كلا الأمرين.

كما أن الفتيات الأنثويات دائمًا متبرجات بشكل متقن ويصفّفن شعرهن ويطلين أظافرهن ويرتدين ملابس كاشفة .كنّ يرتدين أحيانًا أشياء في غاية العبث بعيدة عن المنطق، كالكعب العالي الذي كن يتجولن به وكان جليا أن المشي به خطيرٌ جدا، أو التنانير القصيرة حتى خلال أَشتِيَة نيوجيرسي الثلجية، أو الرموش الاصطناعية التي لطالما كانت تبدو سخيفة ومزيفة بشكل فاضح. رَكَّزت هؤلاء الفتيات كل طاقتهن على عرض معالمهن الأنثوية على الملأ وتضخيمها بشكل مبالغ فيه. بدا لي الأمر سخيفًا، أن أفعل هذه الأشياء الغير منطقية. ولأكون صريحَة تمامًا بدا هذا النوع من الفتيات جميلات لكنّهنّ غبيَّات بكل ما تعنيه الكلمة.

وبهذا بدأت أُكَوِّن هذا الاستنتاج (الخاطئ) بأن هذا ما تعنيه الأنوثة، وأن المظهر والتصرف بهذه الطريقة "الجميلة" كان أنثويًا. وهو ما يعني (لدى ذهني النّاشئ الفاسد) أن الأنوثة مساوية للضّعف وفقدان المنطق والتّعقّل.

لم أكن أرغب أن أتّصف بأيٍّ من هذه الصفات.

كفتاة مسلمة في المدرسة الثانوية، وجدت أنه لا يمكنني اتباع هذه النموذج الأنثويّ بل من الأفضل أن أتجنب حتى محاولة أن أكون أنثوية لأن الأنوثة مرادفة للسخافة والانحلال وارتداء الملابس الضيقة. من الأفضل أن أرتدي سروال كارغو وقميصا فضفاضا مع حجابي، وهذا النوع من اللباس أقرب منه للمرأة "المسترجلة". كان ذلك المظهر ساترا ولكنه شبه ذكوري، بدا لي الأمر وكأن الاحتشام والأنوثة لا يجتمعان معًا.

كنت أعلم أن مسلماتٍ كثيرات في مصر ترتدين الحجاب والخمار والعباءات الطويلة الفضفاضة. لكنني لم أكن أعرف كيف أنقل هذا المظهر من مصر إلى مدرسة ثانوية أمريكية غير مسلمة في ضواحي المدينة، أين يعتبر ارتداء الملابس المختلفة علامة على أنك غريب الأطوار للغاية.

وبهذا وجدت نفسي في نوع من الفراغ، كلّ ما كنت متأكّدة منه أنني لا أرغب قطعا في أن أكون فتاة ضعيفة وأنثوية، لكنني لم أكن أعرف ما ينبغي أن أطمح إليه.

لم أكن أعرف ما هي الأنوثة في جوهرها، كل ما كنت منشغلة به هو الجانب السطحي للمظهر. لم يكن لدي أي أصلٍ متين أستند إليه لبناء هويتي الناشئة كفتاة مسلمة تُجسد الحياء ظاهرًا وباطنًا.

وهنا جاء دور النسوية.

"اعترافات نسويّة سابقة"
الجزء 5
نقطة التّحوّل
/ ألسنا على الحق

الجزء الخامس: بداية التحول

لا أذكرُ الآن أول مرة سمِعتُ فيها كلمة "النسوية" أو عرَفت كيف تكون المرأة النسوية، لأنها في كل مكان. عناصر النسوية متأصّلة في المجتمع الأمريكي كخيوطٍ في نسيجه، فالنسوية نتاجُ الليبرالية أو العلمانية، وترتبط بالفردية المفرطة و"الاستقلالية."

كنت حائرة وتائهة وضائعة، كُنْتُ مشوّشةَ لَكن لم أعرف كيف أوجّه نفسي، لم أجد ما يثبّتني.

أذكر في فترة المدرسة الثانوية المبكرة كيف كانت أغنية فرقة Destiny's child بعنوان "نساء مستقلات" تُشَغَّل في جميع قنوات الراديو. لا بدّ أنني سمعت تلك الأغنية كل يوم لمدة عام كامل على التوالي على الراديو في المقهى الذي عملت فيه بدوام جزئي في المدرسة الثانوية:

لم أعرف لماذا كان الرجال والنساء مختلفين جدا، ولماذا كان كوني امرأة أمرا سيئا.

"سؤال، أخبرني ما رأيك فيّ؟

حاول أن تتحكّم فيَّ يا ولد، وسيتمّ إقصائك.

أَدفعُ من أجل لَهوي، وأدفع فواتيري.

دائما العلاقاتُ مقاسمةٌ بالتساوي.

الأحذية التي لديّ أنا اشتريتها.

والثياب التي أرتدي كذلك.

لأنني أعتمد على نفسي إن احتجت، أعتمد على نفسي.

إذا افتخرتِ فلتكن أموالك ما تفتخرين به.

لا تعتمدي على أحد ليعطيك ما تريدين..."

أفكار سامّة منحرفة كهذه صادرة مباشرة من الدليل النسوي سمّمَت عقلي؛ تكرار عبارات الاستقلال المُطلَق للأنثى: "أدفع ثمن أغراضي بنفسي"، "لا أعتمد على أحد ليعطيني ما أريد"، "لا تدَعي رجلًا يسيطر عليك، لأن هذا ما يريدونه" وبعبارة أوضح: كوني امرأة قوية ومستقلة، بنفس قدرة الرجل وكفاءته ومكانته.

كوني كأنك رجل.

تشرّبت هذه الأفكار المجتمعية التي تقرن الأنوثة بالضعف والرجولة بالقوة، لذلك أخفيت أنوثتي أو قلّلت منها وحاولت زيادة "قوّتي".

مارست الرياضة في المنزل، وفي المدرسة. جرّبت الملاكمة لفترة وجيزة في السنة الأولى من الجامعة (وكرهتها).

لقد أخفيت بعناية أي آثار ضعف (أي: أنوثة) خلف طبقة خارجية من "القوة والاستقلال".

الصديقات اللاتي عرفتهن في السنة الأولى في الكلية عرفنَني كتلك الفتاة القوية المتشبّهة بالصبيان، التي تتمرّن ولا ترتدي أبدا ملابس وردية أو حجابا براقا. سمّيت نفسي نسويّة، كبقية الفتيات الأخريات. حَسبنَ أن هذا ما كنتُ عليه حقيقة.

لكن هذا كان جزءً واحدا منّي فحسب، أما الجزء الذي كنت أخفيه عن الأنظار بعناية كأمرٍ محرج يستحق الإبعادَ فقد كان أنثويا بطبيعته، لم يُرِد أن يكون "مستقلا" وقويا لتلك الدرجة ولم يُرِد كبح العاطفة طوال الوقت.

كان الجزء الضعيف (الأنثوي) من طبيعتي يرغب كثيراً في وجود أسرة خاصة بي وزوج يحبني وأطفال أربّيهم. ولكن في المحادثات الليليّة مع صديقاتي المسلمات في غرفة إحدانا، وعندما تبدأ الفتيات بالتّنكيت على الزواج، كنت أُصر إصرارا شديدا على أنني لم أُرِد يومًا أن أتزوج.

كانت إحدى صديقاتي المسلمات في الكلية بالخصوص أكثر تشبّها بالصبيان مني، وفي يوم من

الأيام تعاهدنا ضاحكتين على ألا تتزوج أيٌّ منا. من منّا بحاجة للرجال؟

لذا حاولتُ جاهدةً لسَنَواتِ لِكي أكُونَ قويّة قدر الإمكان، أي أقرب للذكور. لكن ذلك جعلني مشوشة حائرة. عاكستُ طبيعتِي، وكبحتُ ميولي.

لقد حاربتُ فِطرتي.

أذكر مرة خلال خريف السنة الأولى، أن فتاة أرسلت على قائمة البريد الإلكتروني لجمعية الطلبة المسلمين MSA رسالة إلى المجموعة لتُعلِم الجميعَ أن المتجر المعروف H&M بالقرب من ساحة هارفارد لديه عروض تخفيض على الأوشحة، وأنها تصلح كثيرا كحجاب للأخوات، وأضافت بحماس أن لديهم ألوانا جميلة وبعضها براق وبعضها مزيّنة بشراشيب. قرأتُ هذه الرسالة الإلكترونية باعتبارها إهانة شخصية، ورددت على عجل لم يكن من عادتي، وندمت عليه بشدة بالنظر إلى الوراء، فقلت ما معناه "حسناً، ماذا لو لم ترغب فتاةٌ في ارتداء أوشحة مكشكشة براقة أو بشراشيب؟"شيء من هذا القبيل، خارج عن الموضوع تماما ومُسيء لم يكن له أي داعٍ، لم يكن أبدا تصرّفي المعتاد.

لكن رسالتها أزعجتني للغاية، ضربت على وتر حساسية لم أكن أعرف حتى أنها كانت لدي. كنت *أود* أن أذهب لرؤية مجموعة الوشاحات، وربما أن أختار واحدا لطيفا في لون جميل أحبّه - ولكنني شعرت أن ذلك لا ينبغي لي، لا يمكنني فعله. كان علي إبْقاء ذلك العنصر الأنثوي الغريب مخفيّا. لا ينبغي إظهار الضعف، عليّ أن أبدو قوية لا سخيفة أو أنثوية.

ثم ها هي تلك الفتاة تتحدث بوقاحة وصراحة وعلانية عن هذا الأمر! ألم تكن تعلم أن كونها فتاة أنثوية أمر سيّء؟ ماذا كانت تريد فعله؟ ليس مسموحًا لنا أن نكون أنثويات! مهما رغبنا في داخلنا أن نكون كذلك! علينا دفن الجانب الأنثوي لدينا.

لم أستطع في تلك الفترة أن أعرف حتّى ما كَانَ يَمْنعُني مِنْ أنْ أكُونَ أنثوية. المجتمع أم الإسلام أم كلاهما؟ أعتقد أن الأمر في ذهني آنذاك كان مزيجا من الاثنين. معايير المجتمع المصري،

المعايير المجتمعية الأمريكية، الإسلام نفسه، تجنّبُ الأنوثة، أي عرض للأنوثة ممنوع، لذا منعته عن نفسي.

وقعت حادثة أخرى في السنة الأولى لي: كنت في حلقة لجمعية الطلبة المسلمين انتهت في وقت متأخّر، ربما على الثامنة أو التاسعة مساءً. حلّ الظلام، وكان الوقت بعد صلاة العشاء؛ وبينما غادرت المجموعة المصلّى بَدأَ الناسُ يتفرّقون في الاتجاهاتِ المختلفةِ للعَودة إلى غرفِ مساكنهم بدأ أحد الإخوة في الابتعاد، ولاحظ أن بعض الأخوات بدأن طريقهنّ الطويل عائدات إلى مبنى مساكنهن البعيدة، فاستدار إلينا وسألنا باحترام من بعيد: "أيتها الأخوات هل تحتجن إلى شخص يوصلكنّ؟" كان يعرض علينا بأدب أن يوصلنا حتى لا نمشي لوحدنا بلا رفقة ولا حماية في الليل داخل منطقة الجامعة الضخمة المليئة بالطلاب السكارى أو من لا مأوى لهم. لقد كان عرضاً كريمًا.

تملّكني غضب شديد، وشعرت بإهانة شخصيّة.

كيف يجرؤ أن يلمّح أنني لست قوية ولا متمكنة ولا مستقلة؟ كيف يجرؤ على التلميح بأنني بحاجة للحماية؟ ثمّ يصدر هذا من رجل! كأنه يقول إنني ضعيفة وهو قوي وأنني في حاجة لمساعدته! لستُ بحاجة رجل ليساعدني! إن وافقت على هذا العرض، فإنني أخسر المعركة! سأكون قد قبلت بالهزيمة! واعترفت بهشاشتي وضعفي واعتمادي على شخصٍ آخر. سأكون فتاة محتاجة معتمدة متعلّقة عديمة الفائدة وسخيفة كالفتيات اللاتي كنت أراهن كلّ يوم في مدرستي الثانوية. لا، لا أريد ذلك.

رَفضتُ عرضَه ببرودة، ومشيتُ عائدة وأنا ساخطة ومرتبكة.

شعرت بالحيرة أيضاً، لماذا تصرفت كالحمقاء؟ لماذا رفضت عرضاً مفيداً قُدِّم بصدق وطيبة؟ أنا في العادة طيبة ولا أشعر بالتّحسّس بهذه السهولة. لماذا شعرت بالإهانة على الفور؟ ألم يكن أحسن لو كان ثمة مَن يسير في نفس الاتجاه في ظلام الليل في هذا الحرم الجامعي الكبير؟ أما كان ذلك محقّقا للأمن؟ تتعرّض النساء للتحرش أو الاعتداء في الجامعات طوال الوقت! لماذا

كنت أتصرف بتلك السفاهة؟ لماذا كان كبريائي أهم من سلامتي؟ هل كانت سلامتي ثانويّة أمام تحقّقي من عدم الاحتماء برجل؟

لماذا كان عدم إظهار الضعف مهمًّا للغاية بالنسبة لي؟

لَمْ أكن أَفْهمْ نفسي، كنت في تناقضات وفوضى.

كنت حائرة وتائهة وضائعة، كُنْتُ مشوّشةَ لَكن لم أعرف كيف أوجّه نفسي، لم أجد ما يثبّتني.

لم أعرف لماذا كان الرجال والنساء مختلفين جدا، ولماذا كان كوني امرأة أمرا سيئا، أو لماذا شعرت بالخجل من أنوثتي إلى حد إخفاءها. هل كانت المرأة مجرد نسخة سيئة من الرجل؟ هل كان الرجل هو الحقيقي والمرأة النسخةَ المزوّرة الرخيصة؟ هل كانت النساء تقليدا ضعيفا للرجال؟

هل كانت النساء رجالًا دون المستوى؟

إذا كان الأمر كذلك، لماذا خلقهم الله ليكونوا كذلك؟ لماذا لم نكن جميعاً من النوع الأصليّ الحقيقيّ، رجالًا أقوياء أكفاء؟

عندما بدأت هذه الأفكار المضطربة تتشابك في ذهني ذات ليلة، توجّهت دون أن أشعر للقرآن باحثة فيه عن الراحة من عذاب التفكير. والحمد لله أن أرشدني الله إلى بداية الإجابة.

آيةٌ من القرآن.

"اعترافات نسويّة سابقة"
الجزء 6
القرآن
الهداية القرآنية
/ ألسنا على الحق

الجزء السادس: الهداية من القرآن

لقد كنت مرهقة للغاية في هذه المرحلة.

سئمتُ من رؤية الحياة كمنافسة ضخمة بين الرجال والنساء

سئمت من أن يتوجب علي دائما مقارنة نفسي بالرجال وأن أحاول التفوق عليهم حتى أثبت شيئا لنفسي وللآخرين. سئمت من محاولتي الفوز بمعركة لا يمكن الفوز فيها.

لم يكن ثمّة صراع، لم يوجَد من الأساس، لقد كان الأمر في رأسي فحسب. كان فقط نتيجة العناصر السيئة من ثقافة البلد وبرمجة المجتمع والحركة النسوية الغبية. النسوية وكل تناقضاتها غير المنطقية، والتنافر المعرفي الذي تقود إليه ونفاقها الناتج عن الحسد.

كنت أخوض معركة خاسرة وكانت تنهكني ولم أعرف كيف يمكنني الخروج منها في ذلك الوقت.

كانت الجامعة أول مرحلة في حياتي التي ابتعدتُ فيها عن منزلي. كنت أحاول أن أجد موطئ قدم لي، أن أَثبُتَ أمام كل ما علي مواجهته بعيدا عن والديّ وأسرتي، كنت أمُدّ يدي تلقائيًّا لشيء مألوف كلما شعرت بالتردد أو الضياع. لقد كان القرآن جزءً هامًّا في طفولتي والحمد لله، والأُنسُ بقراءته كان يمنحني الراحة.

لكن هذه المرة عندما تناولته وقرأته في غرفة مسكني بالجامعة، كنت أفكر بتلك المشكلة العالقة في ذهني، مشكلة التنافس ما بين الرجال والنساء. فتحت المصحف على صفحةٍ من صفحاته وصادفَ أن تكون سورة المائدة، ووقعت عيناي على الآية الثامنة والأربعين:

{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} (المائدة 48)

لم تكن هذه الآية تتحدّث عن الفروقات بين الجنسين بل عن الأمم من مختلف الأديان، ولكن عند قراءتي لها في تلك الليلة التي كنت أعاني فيها من صعوبة فهم فروقات الجنسين وحاجتي للتصرف مثل الرجال بقدر المستطاع، فجأة اتضح شيء ما في ذهني، لقد كانت أكبر لحظة اكتشاف في حياتي على مدار ثمانية عشر عاما مضت.

لقد أحببت كل عبارة في هذه الآية، كان كل جزء فيها يحمل معنًى عميقًا بالنسبة لي، وفيه مغزى لم ألمحه من قبل برغم قراءتي السابقة لها في الماضي. خطرَت لي فجأة الدروس والحلول المستنبطة منها بوضوح تام وانتابني شعور بالراحة لم أعهَدهُ من قبل:

١ -طريقة الحكم على الأمور

ثمّة طريقتان للحكم على الأمور: الحكم استنادا إلى ما هو حقيقي -كتاب الله مثلا، أو إلى ما هو زائل كميول الفرد وأهواءه. الجزء الاول من السورة يفرّق بوضوح بين الحق والأهواء.

يخبرنا الله في القرآن بوضوح أيّ الطريقين يجب أن نسلُكَه: الحقّ كما أوحِيَ.

٢ -التفكير العقلاني مقابل الاتّباع الأعمى

في أول جملتين للآية يوجد توجيهان من الله، أحدهما أمر والثاني نهي. الأول هو "احكم" والثاني "لا تتبع".

فهمت من ذلك أن ثمة طريقتان للنظر للأمور ثم التصرف بشأنها :الأول أن تأخذ الأمور بعين العقل والمنطق للحصول على حكم صحيح والثاني التتبع الأعمى للآخرين في افكارهم وأفعالهم.

لقد أتضح لي بأني كنت أستخدم الطريق الثاني: لقد كنت أتبع الآخرين، أتبع أهواء المجتمع بشكل أعمى عن كيف يُفترض بالمرأة أن تفكر وتلبس وتتصرف وتكون. "المرأة سيئة والرجل جيد" تلك العقلية التي عذبت نفسي بها لسنوات عديدة لم تكن فكرتي من الاصل، لقد كانت برأسي لأنني سمحت لنفسي بتشرب هذه الأفكار المجتمعية السائدة السامة. هذا التفكير الذي تريده النسوية مني، أن أكون تابعة. كنت بحاجة للتوقف عن اتباع هذه الأوهام والحكم بنفسي

استنادا لكتاب الله.

٣ -اختلافات مقصودة

ثم يقول الله "لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا"

لطالما ظننت دائما أن النساء هم إصدارات أضعف وأسوء من الرجال. لقد كنا النسخ السيئة. الرجال هم المعيار، النموذج الافتراضي -والنساء دون المستوى في عدة جوانب.

الرجال كانوا منتجات مصنعة بدقة ولكن النساء منتجات معيوبة في انتظار إرجاعها. لكن عند قراءتي للآية أدركت أن كل هذا كان خطأ. الله أحسن الخالقين.

النساء والرجال مختلفون -مختلفون فحسب، لا توجد نسخة سيئة ولا جيدة. توجد نسختان مختلفتان.

الرجل والمرأة مخلوقان مختلفان من مخلوقات الله، صوّرَ الخالقُ كليهما بكمال وروعة، وهذه كانت الخطة والنية من خلقهما منذ البداية.

هما منتجان مختلفان صُنعَ كلاهما بكمال، ولكلّ منهما دليل مختلف خاص به.

٤ -لكن لماذا؟ لم الاختلاف من الأساس؟

يقول الله تعالى في الشقّ الثاني من الآية "وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً " فلو شاء لجعلنا من نوع واحد، كلنا رجال أو كلنا نساء، أو مخلوقات أخرى بلا جنس محدد، لكنه لم يفعل، لماذا؟

٥ -السبب

الجزء الثاني من الآية يُجيب " وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ".

هذه على الأرجح جملتي المفضلة في هذه الآية، لقد جلبت لي الراحة الفورية ودفعة قويّة من الفهم. الأمر بأكمله اختبار. كلنا في اختبار، وهذه طبيعة الحياة الدنيا باختصار. لا يمكن لأحد

الفرار من الاختبار، والابتلاءات، والمصاعب.

كل ما لدينا اختبار، وكذلك ما لا نملكه.

بالنسبة لي على الاقل إذا أدركت أنني في اختبار أستطيع التعامل مع الأمر بشكل أفضل.

بمجرد أن اتضحت هذه الفكرة لي شعرت بالسلام والهدوء. هذا اختبار.

٦ -كيف يُجتاز هذا الاختبار

سؤالي التالي بعد علمي بأنني أمرّ باختبار هو كيف يمكن اجتيازه؟

وهذه هي الإجابة "اسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ".

كانت بسيطة حتى أنها ذهبت بأنفاسي، واضحة وصريحة لدرجة أنها تبدو كالسهل الممتنع، ولكنها تُناقِضُ بشكل صارخ الأفكار المعقّدة والسخيفة التي ملئتُ رأسي بها لسنوات، التفكير الضال بأن الإجابة تكمن في منافسة الرجال والفوز عليهم في لعبتهم، ومحاولة التفوّق عليهم، أن أكون أفضل منهم وأكبر وأقوى وأشد وأقسى وأرجحَ عقلا، محاولة القيام بكل ما يقومون به بشكل أفضل.

محاولة قمع أنوثتي وسحق مشاعري خشية أن تكشف كوني امرأة. وذلك ليس لأنني أردت ذلك ولكن لأنني كنت مجبرة على ذلك لإثبات قيمتي ومكانتي وموقعي المساوي لهم.

لقد كان هذا مرهقا، لا نهاية له وغير مُرضٍ، كان عديم الجدوى ويستحيل تحقيقه.

ولكن هذه الإجابة الحقيقية كانت مذهلة ببساطتها:

أن أدع التركيز على الرجال، والسعي وراء منافستهم، والهوس بأثبات الذات.

علي التوقّف عن كل ذلك.

وعوضا عن ذلك علي أن أركز على نفسي وما أقوم به، وأن أحرص على أن تكون أعمالي صالحة

لقد شعرت بالتحرر وكأن حملا ثقيلا تمت إزالته عن عاتقي فصار بإمكاني التنفس ثانية، عبء ثقيل أُزيح عن أكتافي.

٧ -النهاية

"إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ"

وهذه الجملة كذلك منحت قلبي وعقلي شعورًا لا يُوصَف بالراحة.

عندما يخضع الشخص للاختبار، في نهاية الاختبار تُقَيّم النتائج وتُعطَى الإجابات. سيعطينا الله عز وجل جميع الأجوبة على أسئلتنا والتفسيرات عن اختلافاتنا عند عودتنا إليه.

يا لها من فكرة حكيمة! فالتركيز على الله وعلاقتي به، وليس على أي رجل. الرجال ببساطة ليسوا في الصورة ليس كما اجبرتهم دائما بأن يكونوا. بل الأمر يتعلق بي وبالله وعدد الأعمال الصالحة التي يمكنني القيام بها قبل رجوعي إليه.

ختامًا، كانت الكلمة الأخيرة من الآية "تَخْتَلِفُونَ" أشبه بإيماءة خفيّة لهوسي بالفوارق. كلُّ شيء كما يجب أن يكون عليه، الفوارق وغيرها.. بما في ذلك أنا. ليس لشيء أن يشعرني بالاضطراب أو الشك أو القلق حيال نفسي، ولا علي البحث عن سبل الارتقاء لتوقعات للآخرين، وليس ثمة مَن ينبغي أن أثبت له ما أظن أن عليّ إثباته.

الآية الثامنة والأربعون من سورة المائدة..

لن أنسى أبدا هذه الآية الجميلة وتأثيرها المدهش عليّ.

لقد أثّرت بي بشدة حتى حبسَت أنفاسي. اضطررت لإعادة قراءة الآية عدة مرات ثم غلق المصحف وأصبعي مازال في الصفحة بينما أستطيع التركيز واستجماع أفكاري، ثم كنت أفتح المصحف وأقرأها مجددا. نعم، هنا كانت الإجابة التي لطالما بحثت عنها طوال السنوات الماضية. الحمد لله.

لم يكن ثمّة صراع، لم يوجَد من الأساس، لقد كان الأمر في رأسي فحسب. كان فقط نتيجة العناصر السيئة من ثقافة البلد وبرمجة المجتمع والحركة النسوية الغبية. النسوية وكل تناقضاتها غير المنطقية، والتنافر المعرفي الذي تقود إليه ونفاقها الناتج عن الحسد.

لقد تحررت من القيود الغبية العبثية التي أثقلت بها نفسي بإرادتي لسنوات. أخيرا انتهت جميعها.

ومع ذلك تطلّب الأمر مني عدة سنوات لكي أعيد ترتيب أفكاري، وأُصوِّب اعوجاج عقليتي. من الصعب التخلص من العادات القديمة الراسخة.

هذه اللحظة كانت بداية تغيّري.

"اعترافات نسويّة سابقة"
الجزء 7
الزواج
/ ألسنا على الحق

الجزء السابع: الزواج

لم أتخلص من عوالق الفكر النسوي بين ليلة وضحاها.

أصبحتُ ربةَ منزل تُعدُّ الطعام وتنظف. هل كان هذا أقصى ما يمكنني فعله؟ هل ما كنت أقوم به أمور عظيمة؟ هل كنت أساهم في المجتمع؟

لذلك داهمني شعور بالصدمة والرهبة عندما تقدم شاب من الطلبة المسلمين في جامعة هارفارد وطلب مني رقم والدي بُغية مفاتحته بأمر الزواج، عُدت مباشرة إلى الصراع الفكري المُقلق "كلّا! هذا الشاب يرغب بالزواج بي؟ لماذا؟ هل يبدو عليّ أنني من نوع الفتيات اللاتي يُردنَ الزواج؟ هل أبدو ضعيفة أو غير قادرة على تدبّر أموري بنفسي دون الحاجة لوجود رجل؟ ما هو الانطباع الذي يظهر للناس عني؟ هل أبدو ضعيفة أو اتّكالية؟ ما الذي يحاول هذا الشاب قوله هنا؟ لماذا يريد الزواج مني أنا تحديداً؟

لذلك رفضته، فالزواج للضعيفات والعاجزات والمعتمدات، وأنا كنت "مستقلة"!

لكن بعد أن بدا لي أن رفض المتقدّمِ في المرة الأولى كان متسرّعا وغير مبرّر كما يجب، فقد تأنَّيتُ في تعاملي مع الأمر عندما تقدّم لي في المرة الثانية بعد سنوات (نعم كان على المسكين التقدم مرتين، لقد كنت سيّئة)، فقمت "بالموافقة" بتردد بعد جلسات للحديث بهذا الشأن مع عائلتَينا. شعرت حينها بالتردد، ولم أعلم ما إذا كان هذا التردد متعلّقا بشخصِه أم كان تابعا لقلقي القديم حول فروق الجنسين والزواج.

وقد تزوّجنا والحمد لله في آخر سنة لي بالجامعة؛ كنتُ الوحيدة المتزوجة من بين صديقاتي، وكم كان من المضحك لدى جميعهنّ أنّ أكثر فتاة معادية للزواج في المجموعة كانت أوّل مَن تزوّجت مِن بينهنّ، الفتاةُ التي أقسمت على ألّا تتزوج البتة!

ثمّ تخرجتُ بعد أن أتممت السنة الأخيرة لي، لكن لم تكن بانتظاري وظيفة رائعة، ولا حتى برنامج

دراسات عليا متميز لألتحق به، ولا عمل تطوعيّ من أي نوع أشارك به، لا شيء إطلاقا. كل ما أُتيحَ لي هو أن أكون "زوجة"، هذا كل ما في الأمر.

بينما كان زملائي يبدؤون دراستهم في معاهد الطب والمحاماة، والوظائف ذات الوتيرة السريعة في وول ستريت لأنهم تخرجوا من "جامعة هارفارد"، كان علي أن أبدأ أولى سنين حياتي كربّة بيت؛ لأنني تخرجت من هارفارد، نعم.

كان التفكير في ذلك يضايقني لفترة، كلما عاودتني تصوراتي القديمة عن الأنوثة وما تعنيه، والهدف من الحياة وأيّ المساعي جديرة بالاهتمام. كنت أشعر أنني قد ضيعت مقعد الجامعة الذي كنت أشغله.

في هارفارد دائما ما يخبروننا أن علينا الاستفادة من التخرج من مثل هذا الصرح المتميز للقيام "بأمور عظيمة" و"للسّعي وراء شغفنا" ولتحقيق "كامل إمكاناتنا" ولنكون "عناصر فعالة بنّاءة في المجتمع" فأنت في نهاية المطاف درست في هارفارد.

"آمال كبرى "

تزوجت إذا وأصبحتُ ربةَ منزل تُعدُّ الطعام وتنظف. هل كان هذا أقصى ما يمكنني فعله؟ هل ما كنت أقوم به أمور عظيمة؟ هل كنت أساهم في المجتمع؟ شعرت بالخجل من مقابلة فتياتٍ أخريات ممن تخرجن معي، فقد كُنّ يتحدثن عن العمل والدراسة، أمّا أنا فلا.

كان زوجي يتحدث إليّ بهدوء وحكمة عن هذا الأمر كلما احتجت لذلك، ليساعدني على رؤية الأمور من زاوية واقعية أكثر، ومن وجهة نظر مختلفة عن التي كنت عالقةً بها. لكن الأمر لم يطُل. كنت أطمئنّ لفترة، ثم أعود للتذمر لأنني كنت بلا هدف وبلا غاية كوني ربة منزل فحسب. لم يكن هذا جزءً ممّا يعنيه أن تكون المرأة ناجحة! لم يكن الأمر كذلك.

لم أكن أريد أن أبقى نسوية، لكنني لم أرد أن أكون مثيرة للشفقة!

خلال تلك السنة الأولى تعلمت كيف أدير منزلاً صغيراً، وحصلت أخيراً على رخصة القيادة، وأخذت دروساً متقدمة في اللغة العربية والتجويد. ومع كل هذا كنت أشعر بأنني لم أقم بما يكفي!

وفي السنة التالية حصلت على وظيفة بدوام جزئي كمرشدة دينيّة في جامعة للنساء، وهذا جعلني أشعر بتحسن. أحببت العمل وكذا الفتيات اللواتي عملت معهنّ، لكن كان الأمر أكبر من ذلك، لقد شعرت أنني صرت أفعل ما كان متوقعاً مني مجدّدا. عُدت إلى ما كنت عليه، أثبتّ ذاتي. كنت أحصل على دخلي الخاص، تماماً كما ينبغي أن تفعل أي امرأة عصرية مستقلة تملك أقل قدر من الاحترام لذاتها. كنت متزوجة لكن ما زلت بحاجة إلى استقلاليتي ودخلي الخاص. لم أكن لأبقى مجرّد ربة بيت أعتمد على زوجي ليعيلني! بالطبع لا.

طرأَت على هذه المرحلة من مراحل نضجي تغيرات أخرى عندما أضفت دور الأم إلى دور الزوجة.

"اعترافات نسويّة سابقة"
الجزء 8
الأمومة
/ ألسنا على الحق

الجزء الثامن: الأمومة

أخبَرتُ نفسي طوال سنوات بأني لا أريد أن أكون أما. لقد كان لدي إخوة صغار، لذلك كان علي وأنا يافعة أن أغير مئات الحفاضات، وأُطعم أطفالا كثيري الحركة يلقون علي الطعام أحياناً، وأُلبِس أطفال لا يتوقفون عن التّحرك في مهمة لا تختلف عن محاولة إلباس أخطبوط متذبذب، ثم إنني تمكنت من مهارة هزّ الطفل لمساعدته على النوم.

كلّ ما تبقى في ذهني من حماقات نسوية كـ"الاستقلالية" أو "التمكين" كان عليها أن تتبدّد، لم أكن لأسمح لها بأن تمسّ صغيري.. هذا مخلوقٌ يعتمد عليّ بالكليّة، لم أرد بأن أكون مستقلة عنه.

شعرت بأني قمت بما يكفي من رعاية الأطفال لبقية حياتي وأني لست بحاجة لتكرار ذلك مجددا مع مجموعة جديدة من الأطفال. الأطفال يتطلّبون مجهودا كبيرا جدا.

ولكن عندما كبرت في العمر وصرت أنضجَ بقليل، وخاصة بعد زواجي صارت لدي رغبة في الحصول على الأطفال. لقد كانت رغبة طبيعية بداخلي، وظهرت خارجيا بدون تقييد. لقد أردت أن أكون أمًّا.

بعد عامين من العمل حملتُ بطفلي الأول، وقبل موعد الولادة بشهور قليلة تركت العمل. حتى مع بقاء آثارٍ لمفاهيمِ "المرأة المتمكنة" عالقة بذهني، إلا أنني علمت مباشرة وبالفطرة أنني أريد المكوث بالمنزل لتربية طفلي.

لم أرد أن يقوم أحدٌ بهذا غيري. لقد أردت القيام بذلك بنفسي. سأربي هذا الطفل وأيَّ أطفال آخرين يرزقني بهم الله، لأني أردت أن أكون أفضل أم أستطيع أن أكونها لأطفالي؛ لقد أردت أن أكون حاضرة بالكامل. لم أرد أن أضيّع أي لحظة من طفولة أبنائي طالما لدي الفرصة. أيّ وظيفة

هذه التي تستحق أن أُفوّت من أجلها لحظةً واحدة من حياة طفلي؟

عندما وُلِد طفلي الأول حملتُ جسمه الصغير الهش والناعم بين ذراعيّ وحدّقت فيه بذهول.

لقد خلق الله هذا المخلوق الصغير ببراعة، وقد أوكله إلي. المحافظة عليه وإطعامه وإيواءه وتغذيته وتعليمه – جميع احتياجات هذا الطفل كانت مسؤوليّتي ومسؤولية زوجي.

شعرت بالتواضع والتّعجب على حد سواء من المسؤولية التي شعرتُ بها تجاه هذا الإنسان الجديد. شعرت بثقَل علاقة الرَّحِم بنحوٍ عميقٍ وجذريّ. لقد وُكِّلتَ إلي تنشئة هذا الإنسان، تغذية جسمه وتكوين عقله وتشكيل شخصيته، وُكّلتُ بتربيته. إن ما يحدث في هذه العلاقة يتخطى حيز هذه الدنيا فيعود على آخرته وآخرتي.

عندما حملت طفلي بين ذراعي للمرة الأولى انتابني شعورٌ لم أشعر به قبل تلك اللحظة، غريزة الحماية لدى الأم وعزيمتها القوية. لم أكن لأسمح لأي شيء بأن يؤذي صغيري ما استطعت إن شاء الله، لا أذى من الآخرين ...ولا مني

لم أكن لأسمح لارتباكي ولا أوهامي ولا سوء فهمي أن تؤذي صغيري البريء الذي يتّكئ بكل ثقة وضعف بين ذراعي.

كلّ ما تبقى في ذهني من حماقات نسوية كـ"الاستقلالية " أو "التمكين" كان عليها أن تتبدّد، فلم أكن لأسمح لها بأن تمسّ صغيري.

هذا مخلوقٌ يعتمد عليّ بالكليّة، لم أرد بأن أكون مستقلة عنه. رؤيةُ الأمورِ عبر عدسة الأمومة الكاشفة بوضوحٍ، مع حملِ ما هو حقيقيّ وثمينٌ -كالرضيع- تُبدي مفهوم الاستقلالية بأكمله سخيفًا كما هو عليه فعلا.

تُحِسّين بالتعلّق كأم، تصبحين متلائمة تماما مع رضيعك ومدركة بشكل كبير لتنفّسه ودرجة حرارته وتعبيرات وجهه ولغة جسده.

عندما يبكي، تستجيبين له، وعندما يحتاج شيئا، تلبين حاجته فهو لا يستطيع تلبية احتياجاته؛ هو يتعلم معك الثقة، والحب، والرحمة.

يسمي علماء النفس هذا نظامَ التعلّق، وهو نظام داخليّ بيولوجي-عصبي يدفع الناس للبحث عن علاقات دائمة مع بقية البشر؛ وهذا يعني مقدمي الرعاية الأساسيّين عادة الأب والأم.

اضطراب نظام التعلق للطفل في سنواته الأولى التأسيسية يؤدي لضرر طويل الأمد وأحيانا لا يمكن إصلاح هذا الضرر.

حررتني الأمومة من بقايا الأكاذيب النسوية التي كانت لاتزال عالقة في خبايا ذهني كأنسجة العنكبوت.

إن كوني أما -بكل ما يتعلّق بهذا الدور من حمل وولادة ورضاعة وتربية إنسان- كان أقوى دورٍ قمت به في حياتي، كان الدورَ الأصعب، لكن أيضا الأكثرَ إرضاءً.

رُزِقتُ بأربعة أبناء خلال فترة خمس سنوات ونصف، ما شاء الله.

كل ابتسامة شقية لطفل دون أسنان، كل لمسةٍ لطيفة ليد طفل ممتلئة على وجهك، كل ضحكة له تنشر السعادة.. الأمومة تجعلك تقعين في الحب؛ عندما يرتمى جسد صغير بين ذراعيك وتلتف ذراعاه الصغيرتان حول عنقك يستولي على قلبكِ حب غامر، لا يشبه أي حب آخر.

الأمومة تجعلك تلاحظين أصغر الأشياء، الأشياء التي توقفتِ عن ملاحظتها لعقود: خنفساء صغيرة على الأرض، ورقة تسقط من غصن شجرة، سنجاب. يلاحظها طفلك وينبّهك إليها بحماسة وستلاحظينها كذلك، ثمّ ستتحمّسين أيضا بنفس القدر. تعود إليك تفاصيل الحياة الطفولية. سوف تنظرين للأشياء العادية وكأنه لا مثيل لها، وكأنك ترينها للمرة الأولى عبر عيون طفلك.

والأكيد أنه ليس كل ما يتعلّق بتربية الأطفال هو مشرق ومحفوف بالورود؛ بعض الأمور صعبة. لا أريد تغليف الصعوبات بوصف لطيف، لأنها موجودة بالفعل. الأمومة مهمة صعبة، وأحيانا

تُشعِرُك بالوحدة. هي مرهقةٌ بدنيًّا، لأنك في الغالب ستُحرمين من النوم وأحيانا ستصابين بالجفاف وتنسين تناول بعض الوجبات.

لكن الأمومة تجبِرُكِ على النُّضج بأفضل ما يكون. تدفعك لتنقية نفسكِ من أسوء صفاتكِ وإلى مواجهة مخاوفك وعدم ثقتك بنفسك وتناقضاتك. تجعلك تريدين أن تكوني أفضل، إن لم يكن ذلك لأجلكِ فمن أجل أطفالك الذين يراقبونك.

إذا عملتِ على تخليصِ نفسك من مشاكلكِ ونقاطِ ضعفك وعيوبك، ستصبح شخصيتك أنقى وأرقى كما يُنضِجُها فرن الأمومة بإذن الله.

"اعترافات نسويّة سابقة"
الجزء 9
ذروة الإنجاز
/ ألسنا على الحق

الجزء التاسع: ذروة الإنجاز

ما معنى أن يبلغ الإنسان -رجلاً كان أم امرأة- "قدراته الكاملة"؟

دعونا نرى ما إذا كان بإمكاننا تفكيك هذه العبارة المشحونة فوالله إنني أشعر أنها أصبحت سلاحًا فتاكا غالبًا ما يُصوَّب نحو النساء المسلمات.

شعار الجيش الأمريكي هو: "كن كلّ ما تستطيع أن تكونه."

إن الحكمة تكمن في اختيار أي الجوانب من "إمكاناتك" تستحق أن تتحقق، لا الدخول في محاولة عمياء مهووسة لتحقيق "إمكاناتك" بالكامل أو أن تكون حرفيًا "كل ما يمكنك أن تكون."

إنه لا يختلف كثيرًا عن الشعار النسوي للمرأة اليوم: "أبلغي قدراتك الكاملة."

نفس الشعار.

يعتبر كل من الجيش الأمريكي والنسوية الغربية من القضايا التي تتصيّد المجندين الساذجين. وكلاهما يشتركان في نفس طريقة التجنيد: محاولة خلق رغبة مصطنعة داخل المُستَهدَف للانضمام إلى القضية.

الانضمام إلى الجيش الأمريكي (أو الحركة النسوية) يعني تطوير نفسك وتوسيع إمكاناتك والاستفادة من جميع الأجزاء المحجوبة في ذاتك.

لأنك مهما كان ما بلغته الآن، فهو ببساطة غير كاف.

يمكنك أن تكون أكثر من ذلك بكثير، لا تخنق ما بداخلك، ما هو في أعماق طبيعتك.

يقول الجيش: أنت مواطن فحسب حاليا لكن هذا لا يكفي، ليس هو كل ما تستطيع أن تكونه. يجب أن تكون جنديًا يذهب للقتال في حروبنا!"

وتقول النسوية "أنت حاليًا امرأة/ زوجة/أمٌّ أنثوية عادية. لكن هذا لا يكفي، ليس هو كل ما تستطيعين أن تكونيه. يجب أن تكوني سيدة مستقلة، رئيسة تنفيذية، ملكة، محاربة، إلهة (أستغفر الله)، ملحدة أناركيّة متمردة!"

وردّنا عن هذا أنا وجميع النساء الواعيات العاقلات، "لا، شكرًا. أنا امرأة تقليدية ذات أنوثة، هذا كل ما أريد أن أكونه".

لا يتوجّب عليك فعل أمر ما لِمجرّد قدرتك على فعله.

إن مجرّد استطاعتي القيادة بسرعة كبيرة على الطريق السريع لا يعني أن عليّ القيام بذلك.

إن الحكمة تكمن في اختيار أي الجوانب من "إمكاناتك" تستحق أن تتحقق، لا الدخول في محاولة عمياء مهووسة لتحقيق "إمكاناتك" بالكامل أو أن تكون حرفيًا "كل ما يمكنك أن تكون."

هذه الاقتراحات الخبيثة، سواء من قبل الجيش الأمريكي أو من قبل النسويات، ما هي إلا محض تلاعب.

لا يكفي أن تكون مواطنًا عاديًا؛ كن جنديا يمكننا استخدامه كوقود للمدافع في حروبنا.

لا يكفي أن تكوني ابنة أو أختا أو زوجة أو أما أو جدة؛ بل كوني مستهلكًة وحيدة فردانية يمكننا استعمالها في اقتصادنا الرأسمالي.

هل ترَون هذه اللعبة؟ إنها بروبغندا.

حاليا في هذا الفترة من حياتي على هذه الأرض، بصفتي أمَة مسلمة لدي أربعة أطفال صغار أدرسهم في المنزل وزوج محب، وعائلة كبيرة وقليل من الصديقات المقربات، أشعر أنني وصلت إلى كامل إمكاناتي حسب ما أريده. أنا أحقق هدفي. أنا أستخدم كل ما لدي من إمكانات وقوة من الله من أجل القيام بشيء حقيقي، وشيء ذي معنى، وشيء مهم. لدي مهمة، ولدي هدف.

أما بالنسبة لإنجاز "الأشياء العظيمة" بشهادة هارفارد، فما الذي قد يكون أعظم من حمل حياة

بشرية بداخلك، ثم إخراجها إلى هذا العالم برحمة من الله، ثم إطعامها من جسدك، ثم رعاية هذا الإنسان وتأديبه وتعليمه. ما الذي يمكن أن يكون أعظم من تشكيل الجيل القادم من المسلمين القادر على حمل لواء الإسلام؟

لا تزال حياتي مليئة بالصراعات والصعوبات - لكني لم أعد أشعر بالضغوط أو التوتر بعد الآن. أنا لا أخفي أي شيء، ولا أحاول إعادة ترتيب طبيعتي أو شخصيتي بشكل مصطنع. أشعر بالراحة والاطمئنان والامتنان، بالرغم من أنني فاشلة تمامًا بالمعايير النسوية: أم وربة منزل منهمكة في عمل مهين لا معنى له، مشغولة برعاية الأطفال والكدح المنزلي، مع كون زوجي المعيل الوحيد بالإضافة إلى انعدام أي تطلعات مهنية لدي.

لكني الآن لا أهتم.

لم أعد أشعر بالحيرة بعد الآن بشأن هويتي أو دوري والحمد لله. لقد أجاب القرآن على أسئلتي القديمة وحل صراعاتي القديمة. لقد نضج تفكيري واستقر والحمد لله. أتوكّل على الله وأسلّم أمري لحكمته، وقد توقفت عن خلط السلبيات الخارجية بأحكام الإسلام وتوقفت عن إساءة الظن بخالقي.

"اعترافات نسويّة سابقة"
الجزء 10
FEMINIST
الأنوثة لا النسوية
/ ألسنا على الحق

الجزء العاشر: الأنوثة لا النسوية

خِتامًا هذه هي الدروس التي تعلّمتها والحمد لله بصعوبة وعناء خلال رحلتي من النسوية إلى خارجها:

إن النسوية -كما يفعل الشيطان- تحاول تعكير العلاقة الطبيعية المنسجمة بين الرجل والمرأة. فهي تحرّض النساء على مواجهة الرجال في محيطهنّ وإنكار طبيعتهن، فتكون النتيجة معاناة جميع الأطراف.

1-الأنوثة

لم أعد أحسّ بعدم الارتياح من مفهوم الأنوثة. الأنوثة هي طبع المرأة الأصلي عندما تكون فطرتها نقيّة سليمة، تماما كما هي الرّجولة للرجال. فالمرأة السّويّة تعيش وفقَ إطارها الأنثوي، لا تحاربه ولا تقمعه، ولا تحاول تشويه نفسها لتصبح أكثر ذكورة بحثا عن "القوة".

2-الحياء:

إن الحياء على النقيض مما تروّج له النسوية العلمانية ليس ضعفًا، ولا الوقاحةُ قوة. المرأة الحَيِيّة ليست امرأة غريبة تعيش في عصور سابقة، ضعيفة وخانعة. المرأة الحييّة امرأة حيَّة حقيقةً. يقول ابن القيّم رحمه الله إن "الحياء" و"الحياة" مرتبطان ارتباطاً مباشراً، وأنه بقدر ما يكون الحياء في الإنسان بقدر ما يكون حيًّا.

لقد تعلمت كيف تكون المسلمة ذات أنوثة وفي الوقت نفسه محتشمة. لست مضطرةً للجوء للتّشبّه بالفتيان كما كنت أفعل في المدرسة الثانوية. لست مضطرة للاختيار بين أن أكون فتاة أنثوية بالكاد تغطّي جسدها من ناحية، وبين أن أكون فتاة محتشمة ولكن ذكورية من ناحية أخرى. من الممكن أن تكون المرأة المسلمة ذات أنوثة ومحتشمة. في الواقع إحدى الجوانب الأساسية للأنوثة الحقيقية هي الحشمة والحياء، ليس في اللباس فحسب -ولكن في الأفكار والسلوك واللباس والنظر والكلام والأفعال. وعلاوة على ذلك فإن الحياء هي السمة المميّزة في الإسلام ككل.

3-الاستقلال

ليس عليّ إثبات استقلالي ولا كفاءتي. ليس عليّ إجبار نفسي على أن تكونَ أو تقومَ بِـ"كلّ شيء". ليس علي بذل جهود كبيرة لأظهر للعالم أنني حرة، وأني لست بحاجة لأي شخص آخر، وبالخصوص أني لا أحتاج إطلاقا رجلًا يعينني على القيام بأموري. ليس عليّ أن أحرص على حيازة وظيفة جيدة عالية الأجر لكي يكون ذلك دالًّا على قيمتي وحريتي المطلقة، ويكون كذلك مصدرًا للأمان واحتياطًا في حالة انهيار زواجي، فمعظم الزيجات تنتهي بالطلاق هذه الأيام، أليس كذلك؟

4-الاعتماد على الزّوج:

لا أجد حرجًا في ترك زوجي يتولّى العمل من أجل إعالتي، فهذه مهمّته. لدي مهمّتي الخاصة، ليس لي أن أتنافس معه.

ليس لدي أدنى رغبة في محاولة التفوق عليه، أو إخفاء "ضعفي" عنه، أو التظاهر أنني لست بحاجة إليه. ولا مشكلة لدي في الاعتراف بسلطته أو دوره كوليّ وربّ لهذه الأسرة - بل إن سلطته وإشرافه في الواقع أمران أتطلّع إليهما وأستند عليهما كلما كنت متعبة أو حائرة. أريده قائدا له سلطة، حتى أتفرّغ لِدوري وأعتمد عليه في القيام بدوره.

ليس عليّ حرجٌ أن أكون متعبة، إن إرخاء السّلطة وإظهار الضعف عند الشعور به هو الصواب وهو ما يُشعِر إحدانا بالاطمئنان والأمان، بدلا من محاولة إخفائه كسِرٍّ مخجل. إنني ممتنّة لقوّته وأمانته وثباته. هو سندي وملاذي وحبي، لا أشكّ فيه ولا أتوقع انتهاء زواجي عمّا قريب. لَيس هوَ عدوَي ولا جامعا لكُلّ ما عليّ أن أكونه - بل هو مُعيني وأنا له كذلك.

5-الحروب الجندرية والزواج:

ليس على علاقة الرجال والنساء -والأزواج والزوجات- أن تكون مختزلةً في معركة بين أطرافها. ليس الأمر معركةً ولا منافسة، ولا وجودَ لأيّ "أطراف" من الأساس. لا توجد حرب.

الزوج والزوجة فريقٌ واحد. إننا نعمل معاً لخلق ما هو حقيقي وجميل، أمرٌ يتطلب جهداً ومكابدة وعملا جماعيًّا: أسرة مسلمة.

إن كان كل واحد منا يعارض الآخر ولو كنا دائما متنافسين متخاصمين، فإن المشروع بأكمله سيؤول إلى الفشل.

ولكن الحمد لله لا حاجة للصدام. نحن بحاجةٍ لبعضنا البعض، ولكل منا دور محدد نحن مهيؤون له ومجبولون على أدائه على النّحو الأمثل؛ ويكمن سرّ تحقيق ذلك في أن تُسلّم وتدع نفسك تقبل دورها وقدرتها الطبيعية على القيام به بفضل الله. أما محاربة ذلك ومحاولة إعادة كتابة دورك وصياغة طبيعتك فلن يفضي إلا للتوتر والهمّ والعبث.

إن النسوية -كما يفعل الشيطان- تحاول تعكير العلاقة الطبيعية المنسجمة بين الرجل والمرأة. فهي تحرّض النساء على مواجهة الرجال في محيطهنّ وإنكار طبيعتهن، فتكون النتيجة معاناة جميع الأطراف.

6-التّشتّت بين الحياة المهنية والأمومة:

إننا بأمسّ الحاجة لحل هذا الصراع الذي تم اصطناعه وفرضه بزرعه في قلوب النساء العصريات: إما البقاء في المنزل مع الأسرة أو الخروج للعمل بحثاً عن "العَظَمة"؟

ليست الأمومة سجنًا؛ وليس بيتُك زنزانة. يبقى متاحا لك ممارسة هواياتك ورعاية مواهبك وتعلم أشياء جديدة واستكشاف الإبداع الخاص بك - كل ذلك مع كونكِ أمًّا. الأمومة ليست مُعيقَة ولا خانقة كما تُصوَّر في الغالب.

لكن الأمومة كذلك "تكفي". إذا كنتِ "مجرّد أم" فأنت لا تفتقرين لـ"الطموح"، بل إنك تقومين بالشيء الكثير. لو كان في الأمة مزيد من الأمهات المسلمات الماكثات في البيت المخلصات والمتفانيات لكانت ستبدو مختلفة إلى حدّ لا يوصَف. إننا بأمسّ حاجةٍ إلى نساء هنّ "مجرد أمهات".

إنني كأمّ ماكثة في المنزل أشعر أنني بحقّ في المكان المناسب، فيه أقوم بالعمل الواجب عليّ فعله، ليس لأحد أن يقوم به عنّي ولا يوجد من هو أكفَأُ مني له، فعملي هو تربية أبنائي ورعايتهم وتعليمهم كمسلمين والقيام على شؤون منزلي ودعم زوجي.

ليس في هذا العالم ما هو أهمّ من هذا عندي. إنّ تركَ هذه المسؤوليات لمن ليس أهلا لها للبحث عن مسؤوليات أخرى أقل أهمية هو عينُ الحماقة والسُّخف. هذا حقًّا سيكون مضيعة لدراسة هارفارد.

7-الأنوثة والقوة:

ليست الأنوثة مرادفة للضعف، ولا هي تعني الهشاشة ولا العجز ولا الغباء. إن الأنوثة والقوة ليستا متعارضتين أو متناقضتين، بل في الأنوثة قوة.

القوة التي هي جزء من الأنوثة ليست مثيلة للقوة التي هي جزء من الذكورة. ثمّة قوة أنثوية وقوة ذكورية. لقد قضيت معظم سنوات نشأتي في السعي وراء "القوة" التي لم تكن إلا نسخة مشوهة من القوة الذكورية، وهي القوة التي كنت أفترض أنها القوة الوحيدة الموجودة.

حاولت بكل سذاجة أن أكتسب القوة الجسدية وألا أعبّر كثيرا عن مشاعري وألا ارتدي ما هو زهري أو براق وألا أظهِرَ احتياجًا للرجال ولا اعتمادا عليهم بأي حال.. هذا ما تصوّرته "قوّة".

أما الآن وبعد مرور عقود أعلم أن القوة أمرٌ مختلف تماما. القوة الأنثوية هي في رعاية الحب، وممارسة الصبر، في دوام التحمل، وفتح سبُل التواصل، في الذكاء العاطفي والتعاطف.. وبالتأكيد في القوة البدنية كذلك. هل لدى أيّ منكم أدنى فكرة عن مدى القوة الجسدية والعقلية والعاطفية التي تتطلّبها الولادة بدون تناول أي أدوية؟ هذه قوة بدنية لا يملكها الرجال. النساء لديهنّ هذه القدرة بطبيعتهنّ، هذا ما منحهنّ الله إياه إذ خلقَهنّ.

8-هل الإسلام ضدّ المرأة؟

لا، الإسلام ليس عدائيًّا تجاه المرأة، كما أنه ليس معاديا للرجل. هذا محض افتراء على الإسلام من قِبَل نسويّات مضطربات ذوات ذكاء متدنّ.

الله هو العدل الحقّ، تعالى سبحانه وتنزّه عن أن يكون منه ظلم تجاه أيٍّ من خلقه.

للرجال نوع خاص من القوة، وللنساء نوع آخر خاص بهنّ. هذان الجنسان مخلوقان مختلفان من مخلوقات الله. كلاهما بحاجة لبعضهما البعض على نحوٍ ما. كلّ منهما يملك ما لا يملكه الطرف الآخر.

إن الحاجة أو الافتقار لا تعني الضّعف ولا الانقطاع، إنه ببساطة ما خلقنا الله عليه بحكمته المُطلَقة. ليس ذلك خطأ ولا عيبا، إنه ببساطة واقعنا الذي نعيشه؛ لدينا طبائع مختلفة تناسب الأدوار المختلفة التي يتقنها كلّ واحدٍ منَّا.

لا يزيدنا التّشكي من الواقع أو التمرد على طبيعتنا إلا كآبة وغمّا.

9-التوكّل وترك الخوف:

تغرس النسوية شعورا بعدم الثقة والخوف في قلوب وعقول النساء العصريات. الخوف من المجهول، وعدم الثقة بالرجال، وشكوك عن المستقبل، الكثير من "ماذا لو؟:"

ما الذي سيحدث إن تركني زوجي؟ أو خانني؟ ماذا لو تبيّن أنه وحش مسيء؟ وماذا يحدث إن مات؟ ماذا لو تعرض لحادث سيارة وأصبح مشلولاً ولا يستطيع العمل بعد ذلك؟ هل سأصبح بلا مأوى أم أتضور جوعاً؟

الإجابة على كل هذه الأسئلة هي: التوكل على الله.

الحياة مليئة بعدم اليقين، توجد دائما درجة معينة من الخطر المُحتمل، ولا وجود للضمانات. هذه هي الحياة الدنيا كما خلقها الله.

لكن إن أودعنا ثقتنا في الله وعلِمنا أن الفوز سيكون حتما من نصيبنا إن لزمنا طاعته، فإن الله سيدبّر كل شؤوننا بغض النظر عمّا ستؤول إليه حياتنا.

لا تدعنَ الخوف الذي تبثّه النسوية يؤثّر فيكنّ.

10-الاعتزاز بالإسلام:

نحن مسلمات لا نسويّات. لسنا بحاجة إلى الفكر النّسوي الإلحادي العلماني لِيُخرجنا ممّا يدعونه تخلّفا أو همجيّة إلى "التنوير" على طريقتهم.

لدينا دين الإسلام نظامًا كاملًا شاملًا وضعه خالقنا سبحانه، وفيه تكمن كلّ عزة وشرف وكرامة ورِفعة. ليس في النسوية خير تقدمه مماّ ليس لدينا بالفعل في الإسلام.

الآن بعد أن ابتعدت عن التأثيرات النسوية التي كنت خاضعة لها استقرّت نفسي راحة وطمأنينة، ليس عليّ أن أنكر طبيعتي أو أحاربها والآخرين.

كل ما علي فعله هو ترك مفاهيم النسوية اللاعقلانية وأن أكون كما خلقني الله: امرأة، أمَةً لله، زوجةً، أمًّا، راعية ومعلمة. هذه الأمور تكفي؛ قيمتي لا تُقاس بالمعايير المادية أو الدنيوية، الأمر كله متعلق بالآخرة. فالحمد لله.

"لذلك داهمني شعور بالصدمة والرهبة عندما تقدم شاب من جمعية الطلبة المسلمين في جامعة هارفارد وطلب مني رقم والدي بُغية مفاتحته بأمر الزواج... عُدت مباشرة إلى الصراع الفكري المُقلق "كلاّ! هذا الشاب يرغب بالزواج بي؟ لماذا؟ هل يبدو عليّ أنني من نوع الفتيات اللاتي يُردنَ الزواج؟ هل أبدو ضعيفة أو غير قادرة على تدبّر أموري بنفسي دون الحاجة لوجود رجل؟ ما هو الانطباع الذي يظهر للناس عني؟ هل أبدو ضعيفة أو اتّكالية؟ ما الذي يحاول هذا الشاب قوله هنا؟ لماذا يريد الزواج مني أنا تحديداً؟ "

أم خالد